Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

مفهوم الأيديولوجيا بين الهيمنة والسلطة

م.م ميسم محمد هاشم
الجامعة المستنصرية كلية الآداب قسم الانثروبولوجيا والاجتماع ، بغداد، العراق
Maisam.mohammed@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص
يعد مفهوم الأيديولوجيا من المفاهيم المهمة والحيوية، وتعود أهميتها الى كونها من أكثر المفاهيم التي تسهم في صناعة الواقع، الا اننا لا نستطيع ان نجزم بتأثيراتها كونها تختلف من حقبة الى أخرى فهي تحدد بالنموذج المؤطر لتلك المرحلة والذي يؤثر في فهمها وتوظيفها، لذا نجد تباين للتصورات التي تحدها ولا سيما التصورات الفلسفية لكل من غرامشي وفوكو، حيث ينطلق البحث من بيان أهمية الأيديولوجيا في حياة الفرد باعتبارها مجموعة من الأفكار التي تسهم في تكون الوعي الفردي والمشترك وتعمل على توجيه السلوك الاجتماعي، ولبيان ذلك بشكل جلي تم التطرق الى التصور الإيجابي الغرامشي ودوره في النهوض بالطبقات المتوسطة بقيادة المثقفين، والتصور السلبي الفوكوي الذي وجد في الايديولوجيا تمظهرات القوة وخطاب المعرفة الذي اسهم في تحديد التصورات السائدة وتأثيرها في خلق أجساد منتجة طيعة للسلطة.

الكلمات المفتاحية: أيديولوجيا، غرامشي، هيمنة، فوكو، سلطة
تأريخ الاستلام: 22-9-2026 تأريخ القبول: 17-10-2026 تأريخ النشر: 1-12-2026

The Concept of Ideology: Between Hegemony and Power

Maisam Mohammed Hashim
***Mustansiriya University, College of Arts, Department of Anthropology and Sociology*, Baghdad, Iraq**

Abstract
The concept of ideology is significant and vital, primarily because it plays a major role in shaping reality. However, its effects cannot be definitively characterized, as they vary from one era to another; ideology is defined by the prevailing paradigm of a given period, which influences how it is understood and utilized. Consequently, there is a divergence in the conceptualizations surrounding it—particularly the philosophical perspectives of Gramsci and Foucault. This research begins by highlighting the importance of ideology in the individual's life, viewing it as a set of ideas that contribute to the formation of both individual and collective consciousness and serve to guide social behavior. To illustrate this clearly, the discussion addresses Gramsci's positive conception—highlighting the role of intellectuals in the advancement of the middle classes—and Foucault's negative conception, which identifies ideology with manifestations of power and the discourse of knowledge; the latter shapes prevailing perceptions and contributes to the creation of bodies that are productive and docile to authority.

Keywords: *Ideology, Gramsci, hegemony, Foucault, power..*
Received: 22-9-2026 Accepted: 17-10-2026 Published: 1-12-2026

المقدمة:

من الممكن التعرض لمسألة الأيديولوجيا ودراستها من خلال مستويين، الأول يتعلق بالفرد كونه عضواً فاعلا في المجتمع، فلا يمكن ان نجد فردا لا يمتلك أيديولوجيا، فنحن نحملها سواء أكنا مدركين لذلك ام لا، بوعي أو بدون وعي، فنحن نعطي قيمة ونثمن أشياء عديدة كالعدل، السلطة، القانون وغيرها، كما اننا نحمل في لا وعينا أفكار وتصورات نرتبط من خلالها بهذا العالم، ومهما يكن حجم التحرر الذي يدعيه الفرد، فهو اسير بشكل او بأخر لبديهيات ومسلمات قبلية قابعة في ذهنه من الصعب التخلي عنها لأنها ببساطة تمثل هويته وهي ما تربطه بالمجتمع.

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

المستوى الاخر يمثل المؤسسات فهي تلعب دوراً اساسياً في تشكيل أنظمتها السياسية التي تؤثر بشكل مباشر على سلوك الافراد وتحدد أطار عملهم، ولذا لا يمكن ان نجد مؤسسة سياسية لا تتبع أيديولوجيا معينة، حيث تشكل الأخيرة بمثابة البوصلة التي توجه مسارها.

فالأيديولوجيا اذاً جزء من حياتنا، قابلة للتبدل حسب متطلبات العصر، هي من تحدد هوية المجتمع والفرد.

بناءً على ما سبق ذكره من الممكن ان نطرح تساؤل حول كيفية اسهام الأيديولوجيا في صياغة الوعي الفردي؟ وما مقدار امكانية الفرد على التحرر من المسلمات والبديهيات الأيديولوجية القابعة في وعيه ولا وعيه؟ وما مدى تأثير الأيديولوجيا في تحديد هوية المجتمع عندما توظف المجتمعات الأيديولوجيات السائدة كبويصلة لتحديد أطر عملها؟ للأجابة عن هذه التساؤلات وتحليل كلا مستويات الأيديولوجيا (الفردي، والمؤسسي) اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال قراءة مفهوم الأيديولوجيا وتفكيك بنيته ووظائفه على مستوى سلوك الافراد وتوجه المؤسسات.

(أصل الأيديولوجيا)

إن الأيديولوجيا أو الأدلوجة كما سيسميها عبد الله العروي، مفهوم حديث نسبياً، وقد جاء إلينا من الفكر الفرنسي بعد ثورة 1789، وترجمتها اللغوية هي علم الأفكار، وهي مركبة من مقطعين هما ((***Idea***) فكرة و (***Loges***) علم، وكان الهدف من المفهوم الجديد هو أن يحل محل الميتافيزيقا والتي كانت غير ذات قيمة بعد الثورة الفرنسية التي عملت على تغيير كل شيء وذلك لتأكيد انفصالها عن النظام القديم.

كان هدف الأيديولوجيين ومن بينهم أنطوان دوترايسي تأسيس علم جديد هو علم الأفكار والأيديولوجيا، وهو منهج علمي، وعقلاني، وتجريبي، لدراسة وفهم الأفكار والمفاهيم المجردة، وتكوينها وشروط مطابقتها للحقيقة حتى يكون الفكر متمتعا بنفس درجة اليقين التي تتمتع بها العلوم الطبيعية مثل الرياضيات والفيزياء، وكان كل أملهم أن يجعلوا من علم الإنسان والمجتمع علماً متحرراً من الآراء المسبقة والأساطير ومتمتعا بنفس يقين علوم الطبيعة، وقائماً مثلها على الملاحظة والتجربة، هذه المدرسة كانت تسعى لأن تكون علماً للمفاهيم والأفكار المجردة، يدرس نشأتها وتاريخ تطورها، بدءا من الإحساسات الأولية، التي اهتم بها مفكرو القرن السابع عشر - جون لوك والتي طورها كوندياك، وانتهاء بمرحلة تبلورها في صيغ تركيبية كاملة.

في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر ارتبط مفهوم الأيديولوجيا بوضعية سلبية وذلك عندما قام نابليون بإدانة المثقفين الذين اتخذوا موقفاً معارضاً لتوجيهاته الاستبدادية ، فقد انتقدهم بقوة وشجب أفكارهم ووصفها بأنها مجرد تجريدات وتخمين غير مسئول، هذا المضمون السلبي للأيديولوجيا لم يستمد في الحقيقة من الواقع والتجربة الإنسانية، بل من خوف نابليون من الأيديولوجيا ومن وظيفتها النقدية التي كانت وراء موقفه هذا، الأمر الذي أدى إلى طرح مصطلح جديد لتوصف به هذه الوضعية، وهذا المصطلح هو الأيديولوجيا وترجمتها اللغوية تعنى الخوف من الأفكار، فالأيديولوجيا تعنى ضمنا أن الأيديولوجيا ليست ثرثرة فارغة لا طائل منها ولا صلة لها بالواقع، وأنها على العكس من ذلك ذات تأثير كبير عليه ومما هو جدير بالذكر، أن المناقشات التي دارت بين نابليون والأيديولوجيين قد شكلت مضمون هذا المفهوم لسنوات طويلة جداً (أبوشهيرة، 1993، الصفحات 21-23) .

الايديولوجيا اجمالا تتكون من ثلاث عناصر اساسيه:

أولا- الاحساس والذاكرة والاحكام والارادة اساسها الاحساس على اعتبار ان الاحساس اساس لكل فكرة.

ثانيا- كيفية التعبير عن الافكار او قواعد اللغة التي تحكم طريقه تفكيرنا وتعبيرنا عن افكارنا.

ثالثا- المنطق الذي يحكم افكارنا، هذا في الإطار العام كما جاءت عند مؤسسها دوتراسي فهو اول من وضع هذا المصطلح في عصر التنوير الفرنسي في كتابه عناصر الايدولوجيا ويعني دوتراسي بالأيدولوجيا علم الافكار او العلم الذي يدرس مدى صحة او خطا الافكار التي يحملها الانسان الا ان التعريف الاكثر تداولا وتكاملا هو ان الايدولوجيا هي نسق من الافكار والمعتقدات تتبناها فئه معينه من البشر تحدد نمط سلوكهم وتصفهم وتضفي الشرعية عليها (تراسي، 1999، ص 28).

الأيديولوجيا بوصفها هيمنة ثقافية

قبل الشروع في الحديث عن الأيديولوجيا ووظيفتها وجب تعريفها وبيان تفصيلاتها من وجهة نظر غرامشي أولاً، فهو يتحدث عنها بصيغة الزمن الماضي بقوله" كانت، والايديولوجيا» "***Ideology***"، معناها الأصلي علم الأفكار، أحد مظاهر المذهب الحسي "***Sensationalism***" اي المادية الفرنسية في القرن الثامن عشر، ولما كان التحليل هو المنهج الوحيد الذي يعترف به العلم ويستخدمه فان الايديولوجيا تعنى تحليل الأفكار، أي «البحث عن أصل الأفكار»، فلابد من تحليل الأفكار الى عناصرها الأولى وهي ليست سوى الإحساسات "***sensations***"، فمنها تستمد الأفكار، غير أنه يمكن الجمع دون صعوبة كبيرة بين المذهب الحسي

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

والايمان الديني... أما كيف تحول مفهوم الايديولوجيا من علم الافكار، وتحليل الأفكار الى نســق مجرد من الأفكار، فيحتاج الى بحث تاريخي، وهي عملية يسهل فهمها من الناحية المنطقية (غرامشي، 2017، صفحة 387)

يتساءل غرامشي عن سبب تحول الايديولوجيا من علم للأفكار لمعنى جديد، لنظام فكري معين، يرى ان هذه مسألة لا تعالج الا تاريخاً لان فهمها ليس بالأمر العسير (القش، 1979، صفحة 92) .

إن مواجهة جرامشي للنزعة الاقتصادية واختزال الصراعات الاجتماعية إلى الصراع الطبقي وحده هي التي مكنته من فهم الأيديولوجيا لا على أنها مجموعة من الأفكار، بل بالأخرى على أنها تركيبة من الأجهزة المهيمنة في المجتمع المدني (ريمان، 2022، صفحة 191) .

يعد غرامشي فرويد آخر الايدولوجيين، ويعيب على الماركسيين فهمهم لمعنى الأيديولوجيا بقوله " والحق أن معنى الايديولوجية في الفلسفة الماركسية يتضمن حكماً قيمياً سلبياً ويستبعد أن تكون الاحساسات، أى الفسيولوجيا، عند مؤسسيها هى أصل الأفكار والايديولوجية ذاتها ينبغي أن تحلل تحليلاً تاريخيا يستند الى فلسفة الممارسة" (غرامشي، 2017، صفحة 388) .

هاجم غرامشي في دفاتر السجن النظم الفكرية المغلقة والنهائية، وأضاف قائلاً: تكمن وحدة أية نظرية وقيمتها، في تماسكها الجوهري، وفي فهمها الخصب لحل اي اشكال، لا في بنيتها الخارجية والشكلية، وقد أكد على الترابط المتين بين النظرية، وبين الحركات الفعلية داخل المجتمع، فهو سلاحه ضد كل من المادية والمثالية، فقد كانت قوة غرامشي في إنه طرح هذه المسائل بشكل يسمح بحلول عملية، فقد رأى في انفصال النظرية عن الممارسة السبب الجذري لوهن إمكانيات اليسار الاستراتيجية(*) (غرامشي، 1994، الصفحات 163-167) .
، فقد كان على فلسفة الممارسة إنجاز مهمتين:

الأولى: محاربة الأيدولوجيات الحديثة، حتى يمكنها تكوين جماعة المثقفين الخاصة بها.

الثانية: تثقيف الجماهير الشعبية، فقد كانت ثقافتها قديمة تنتمي إلى العصور الوسطى (غرامشي، 2017، الصفحات 410-411) .

ولذا فليس من المصادفة أن نجد ان مفهوم جرامشي النقدي عن الايدولوجيا واضحا عندما استخدم كلمة الايدولوجيا في مقابل كلمة الممارسة ، فهو على وعي تام بأن الماركسية ليست منيعة على ان تتحول الى ايدولوجيا بأسوء معنى للكلمة، باعتبارها مذهباً دوغمائياً من الحقائق المطلقة، وقد لاحظ غرامشي ان الاتجاه نحو الايدولوجيا لا يحدث في شكل فلسفي وحسب بل في مستوى الوعي الشائع، وعلى هذه الخلفية نجده يسعى لمواجهة الارتداد بالماركسية الى أيديولوجيا دوغمائية من خلال تشديده على طبيعتها باعتبارها فلسفة ممارسة ذات بعد نقدي للأيديولوجيا (ريمان، 2022، صفحة 196) .

ويعتبر غرامشي أن الماركسية تشكل تجاوزا واضحا للأيديولوجيا وتناقضها تاريخيًا، والواقع أن الأيديولوجيا في المصطلح الماركسي تنطوي على حكم سلبي، وقد رفض ماركس وإنجلز القول بصدور الأفكار عن مصدر حسي، وبالتالي مصدر جسماني؛ بل تقول الماركسية بأنه ينبغي تحليل الأيديولوجيا تاريخيا، أي بوصفها جزءًا من البنية الفوقية للمجتمع، ينطوي تقييم الأيديولوجيا على خطأ شائع ؛ ينجم عادة عن أننا نطلق تسمية أيديولوجيا إما على البنية الفوقية الضرورية لأية بنية مجتمعية، وإما على الأفكار الكيفية التي يطلقها أفراد بعينهم، وقد شاع استعمال المصطلح بمدلوله التجريحي وهذا ما شوه التحليل النظري للأيديولوجيا بوصفها مفهوما (غرامشي، 1994، صفحة 93) .

يذكر غرامشي ان بإمكاننا أن نتصور بسهولة العملية التي أدت الى هذا الخطأ على النحو التالي:

(*) وهن امكانيات اليسار الاستيراتيجية: مغزى هذا ان الاشتراكية كانت لا تزال في الطور البدائي نسبياً، وهو طور اقتصادي نقابي، وما تزال البنية الفوقية في طور النشوء، ولم تصبح بعد تشكلاً عضوياً. ينظر: تكسية، جاك، غرامشي دراسة ومختارات، ص 39.

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

١ . تم تحديد ماهية الايديولوجية كشـــيء متميز عن البنية، وتم التأكيد على أنها هي التي تغيرها وليس العكس، بمعنى ان المفترض لدى غرامشي ان تغيير البنية من الايدولوجيا لا ان تغيير الايدولوجيا من البنيات.

٢- تم وصـف حل سياسـي معين بأنه حل ايديولوجي، ويتم الاخذ به كأسـاس للتغيير الا أنه غير كاف لتغيير البنية، على الرغم من اعتقاد أصحابه انه يمكنه أن يغيرها فهو يتصف بالعقم والحماقة.

3- الزعم بأن أي أيديولوجية هي مجرد مظهر لا قيمة ولا معنى له.

ينبغي اذن التمييز بين ما يعتبر تاريخيا أيديولوجيات أســاســية اي لازمة لبنية معينة، وايديولوجيات تحكمية أو عقلانية أو رغبوية (غرامشي، 1994، صفحة 388) فعلى المرء أن يميز بين الأيديولوجيات العضوية على نحو تاريخي، والتي تكون ضرورية لبنية تحتية معينة، والأيديولوجيات الاعتباطية و الســطحية، في حين تخلق الأخيرة حركات فردية ونزاعات فكرية، فإن الأولى تنظم الجماهير البشرية وتخلق المسار الذي يسير فيه الناس، ويحصلون علي وعي بوضعهم، ويصارعون من أجله، ومن الضروري معرفة الجبهة التي كان يحارب عليها جرامشي، لا يجب أن نخلط بين المعنى السلبي للأيديولوجيا والذي كان يتخلى عنه، والمفهوم النقدي الذي طوره ماركس وإنجلز، اللذان نظرا إلى الأيديولوجيا على أنها ضــرورية" للمجتمعات الطبقية أي عضــوية في نظر غرامشي (ريمان، 2022، الصفحات 215-216) .

بالنسبة لغرامشي يجب ان تكون الأيديولوجيا "تصوراً للعالم يتجلى ضمنياً في الفن وفي القانون، في النشاط الاقتصادي في جميع تمظهرات الحياة الفردية والاجتماعية، وهي بذلك تكون المعنى المعاش لمختلف العلاقات التي يقيمها الأنسان مع الطبيعة ومع سائر الناس، وكل سلوك ونشاط انساني يتضمن في هذه الحال رؤية للعالم" (مارك، د.ت، صفحة 182) .

وهنا يجب التســاؤل عن مكانة الايدولوجيا ووظيفتها داخل البنى الاجتماعية؟ يجد غرامشــي إن الأيديولوجيا يتم انتاجها وترويجها ونشـرها من قبل المجتمع المدني، فهي داخل هذا الكيان الذي تنزع فيه الطبقة السـائدة اقتصـاديا الى ممارسـة هيمنتها على مجمل الطبقات الاجتماعية الأخرى حتى تحظى بالقبول، وتفرض هيمنتها على الشــعوب، وهذا بالضــبط ما نراه حدث في نضــال البروليتاريا ضـد البرجوازية، بهدف حصـولها على وعيها المسـتقل وبالتالي بسـط هيمنتها على الفلاحين (مارك، د.ت، صـفحة 186)، ولذا نجد ان غرامشـي يدرس الايدولوجيات باعتبارها ضـرورية تاريخياً، " وتكون الايديولوجية ضـرورة تاريخية بقدر ما تكون لها قيمة «سيكولوجية»، فهي تنظم جماهير البشر، وتخلق الأرضية اللازمة لحركة الناس ونضـالهم والوعى بموقفهم، أما إذا كانت تحكمية، فلا تخلق سوى حركات فردية ومساجلات" (غرامشيِ، 2017، صفحة 389) .

كما إن انتاجها يتم عن طريق عدة أقنية في مقدمتها الجامعة ومراكز البحث الأخرى اما نشرها فيتم عن طريق:

اولاً: التنظيم المدرســي، الذي أولاه غرامشــي أهمية كبيرة وكتب عنه عدة مدونات ونماذج لمدارس ينبغي على البروليتاريا ان تنشئها وقت استيلائها على السلطة.

ثانياً: التنظيم الديني، رصـد غرامشـي بانتباه تنظيم الكنيسـة الكاثوليكية كي يحاول فهم أسـباب النفوذ الهائل الذي مارسـته وما تزال تمارسه على الملايين من الناس.

ثالثاً: مجتمع التنظيمات التي تهتم بالطباعة، كالتي تنشر او تصدر الكتب والمجلات والصحف.

رابعاً: الأقنية السمعية والبصرية كالسينما والمسرح الخ ....

خامساً: وسائل الاتصال الشفهي كالإذاعة والاسطوانات.

سادساً: الهندسة المعمارية او هندسة المدن، برأيه لها تأثير خفي على ثقافة مجتمع من المجتمعات (مارك، د.ت، الصفحات 196-197)

نخلص مما سبق ان جرامشـي استخدم مفهوم الأيديولوجيا استخدامات مختلفة تماما عن بعضـها، بمعنى نقدي وبمعنى إيجابي معا، وبمعنى الأفكار والفلسـفات والحس الشـائع في بعض اللأحيان، وبمعنى البناءات الفوقية للمجتمعات الطبقية في أحيان أخرى، وهذا

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

ما يدل على أنه لم يكن يهدف تأسيس نظرية نسقية في الأيديولوجيا، أو على الأقل ليس تحت هذا الاسم، وهذا ما أكدته حقيقة أنه عامل العنصر الجماهيري في رؤى العالم لا من خلال مفهوم الأيديولوجيا العضوية وحسب، بل أيضا من خلال كلمات مثل الدين والإيمان والسياسة والثقافة والأخلاق والإرادة الأخلاقية، وتعبير الإصلاح الثقافي والأخلاقي المأخوذ، استخلص من كل ذلك أن استخدامات جرامشي لمفهوم الأيديولوجيا كانت في سياق تحوله إلى تطوير مقولات أدق لنظريته في الهيمنة.

الايديولوجيا بوصفها سلطة

لا يتعامل فوكو مع الأيديولوجيا بوصفها منظومة من الأفكار والمعتقدات بل يوجه اهتمامه الى العلاقة بين المعرفة والسلطة في تشكيل وعي الإنسان وتحديد موقعه داخل المجتمع، فبدلاً من التركيز على الأيديولوجيا وحدها يبحث في الكيفية التي تنتج بها خطابات المعرفة أنماطاً من الحقيقة، لذا من الممكن بحث موقف فوكو من الايدولوجيا بالانطلاق من مفصلين:

الاول هو المشروع العام الذي ينخرط فيه فوكو اي مشروع ما بعد الحداثة، هذا المشروع جاء بالضد تماماً من فكره النسق والمركز الذي قام عليه مشروع الحداثة، بل يقف بالضد من الفلسفات والمذاهب الفلسفية التي تنادي بفكره مركزيه العقل ومفارقه الجوهر لما هو محايث، وهذا يعني ان فلسفه فوكو اجمالاً خارج وبالضد من جميع المذاهب الفلسفية والانساق والايدولوجيات، باعتبار ان الفلسفة تنتهي عندما تبدأ الايدولوجيا.
اما المفصل الثاني فيتعلق بفلسفة فوكو بشكل خاص، ويمكن دراسته من خلال نقطتين مهمتين: الاولى هو اعتقاد فوكو ان مهمة الفلسفة هي تشخيص الحاضر، وهذا يعني ان الحاضر حسب فوكو هو تجلي للماضي واعاده صناعة له، اي ان فعل الاستعادة هذا من وجهه نظر فوكو، هو صناعه لنمط خطاب يعمل على تشكيل حاضرنا، ومهمتنا هي ان نكشف عن هذا الحاضر من خلال الرجوع الى الماضي كما فعل في مجمل كتاباته، الا ان هذه الاستعادة هي استعاده نقديه تكشف عن المسكوت عنه والا مفكر فيه وكيفية عمل الايديولوجيات التي ترافقهم.

الأيديولوجيا وعلاقتها في تشكيل الوعي وتوجيه السلوك

لقد استحدث فوكو منهج لتحليل الخطاب ويدعى هذا المنهج بالتحليل الفوكوي للخطاب وهو يركز على علاقات القوى في المجتمع والتي تظهر من خلال اللغة (الملفوظات) والسلوك (المرئيات) وكذلك العلاقة بين اللغة والقوة، وفي إطار بحثنا عن الايديولوجيات فنحن سنركز على ما يخص المرئيات اي السلوك المتبع للسلطة من خلال الخطاب.
عمل فوكو في منهجه الحفري على تحليل التشكيلات الخطابية، والوضعيات، والمعارف، من حيث علاقتها بالعلوم، وبذلك **يكون تحليلاً للأنظمة المعرفية، أو الأبستيميات، أي تحليل تاريخي لأنظمة المعرفة، أو الأنظمة المعرفية (أباه، 2004، صفحة 122)** .
وجد المنهج الحفري في تحليله إن نظام التفكير والمعرفة (الأبستيميات، أو التشكيلات الخطابية)، محكومة بقواعد وراء قواعد النحو والمنطق، تعمل تحت وعي الذوات الفردية، وتحدد نظام الممكنات المفاهيمية، والذي يحدد حدود التفكير داخل مجال وفترة زمنية معطاة، ولذا وحسب تعبر فوكو، يتوجب أن يقرأ مثلاً تاريخ الجنون كحفر عقلي في جذور التشكيلات الخطابية، التي حكمت الكلام والتفكير عن الجنون، منذ القرن السابع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر (كوتينق، د.ت)
ولذا تمثل الهدف الرئيس الذي سعى إليه فوكو في الكشف عن اللا مفكر فيه في الفكر الغربي، حيث أعتبر أن هذا الفكر قد مر بمراحل متعددة، ولكل مرحلة نظاماً خاصاً بها، والسبب في تحول الفكر من مرحلة إلى أخرى، هو تغير هذا النظام متأثراً بتغير الخطاب السائد.

الخطاب كأيديولوجيا:

بحث فوكو عن علاقة المعرفة بالسلطة، أو المعرفة وأرادة المعرفة، ومنها حاول التعرف على كيفية ظهور بعض الممارسات الخطابية (كوتينق، د.ت، صفحة 222) .
يفترض فوكو أن أنتاج الخطاب في كل مجتمع، هو في الوقت نفسه أنتاج مراقب، ومنظم، ومعاد توزيعه، من خلال عدد من الإجراءات، التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل (أباه، 2004، صفحة 174)، ثم أكتشف "أن النظام المعرفي قلما تصنعه المعرفة ذاتها، أنها تجد نفسها أسيرة فيه تلقائياً، بل تلقى نفسها وقد حشرت فيه، تبنته، تقوقعت به، وأعطته من ذاتها ما يبرره في عين ذاتها، وما يجعل منه صيغة معرفية، وما يجعلها في الوقت نفسه قادرة على فرض خطابها"، عندئذٍ نكتشف بسهولة أن كل ما هو نظام معرفي نشأ وتكون في ظل أنظمة أشمل منه (صفدي، 1990، صفحة 95)، ليكتشف فيما

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

بعد أن هذا النظام هو ما يفسر ظهور الخطاب، أطلق فوكو على هذا النظام أسم (الأبستيم)، وهو يشير إلى حالة معرفية في حقبة تاريخية معينة، تمتزج بها كل من دلالة الحقيقة والسلطة (صفدي، 1990، صفحة 96)

أحتل هذا المفهوم مكانة متميزة في فلسفة فوكو وتأريخ الفكر، بسبب إمكانياته وقدرته على تغيير مراحل تأريخ الفكر الثلاث المهمة في الحضارة الغربية ونعني بذلك:

- ❖ أبستيمية التشابه في عصر النهضة.
- ❖ أبستيمية التمثيل في العصر الكلاسيكي.
- ❖ أبستيمية الأنسان في العصر الحديث.

وعلى هذا الأساس ارتبطت الأبستمية بالمعرفة لكون مهمتها تاريخية بالدرجة الأولى، فهي تسعى للكشف عن الشروط والإمكانيات التاريخية لظهور المعارف، وبين فوكو أن "الابستيمية ليست قاعدة معيارية أو جرداً شاملاً لطرق أنتاج المعارف، بل هي الاساس (العيادي، 1994، صفحة 18) لكل علم مم كن

وفي موضع آخر أطلق على هذا النظام أسم النسق، حيث قال "أعني بالنسق مجموعة من العلاقات التي تثبت وتتغير في استقلال عن الأشياء التي ترتبط بينها" (فوكَو، 2022، صفحة 8)، "إن الطريقة التي يفكر بها الناس ويكتبون ويحكمون ويتكلمون، وحتى النقاشات في الشارع والكتابات اليومية، بل حتى الطريقة التي يشعر بها الناس بالأشياء، والكيفية التي تثار بها حساسيتهم، وكل سلوكهم تحكمها بنية، نظرية، نسق، يتغير مع العصور والمجتمعات، إلا أنه يبقى حاضراً في كل العصور وكل المجتمعات" (فوكَو، 2022) .

عالج فوكو هذه الأفكار في كتاب الكلمات والاشياء وكان موضوع الرئيسي يتمحور حول المراحل التاريخية، مبيناً ان كل مرحلة تاريخية تمتلك شروطا خاصة للحقيقة تحدد ما هو مقبول وما هو غير مقبول ومثال ذلك الخطاب اللغوي والعلمي والاقتصادي الذي جادل فوكو فيه وبأن شروط الخطاب قد تغيرت مع الزمن بقفزات مفاجئة وكبيرة ما بين مرحلة معرفية الى أخرى.

فعمله اشبه بالمسح الجغرافي للمعرفة عبر التاريخ وهدفه من ذلك هو كشف شيئا يتحكم في مجرى هذه الامور في هذه الطبقات المتراكمة من المعرفة وبذلك يتلخص هدف فوكو في الكشف عن القواعد المجهولة التي تحكم للخطاب وتسييره لكي نتوصل عن طريقها الى معرفة كيف يفكر الناس، سواء فيما يكتبون به، أوما يتكلمون به، في نقاشاتهم في الشارع أو الكتابات اليومية، وطريقة ادراكهم للأشياء فضلاً عن سلوكياتهم ، ويقول فوكو كذلك اقدر ما يمكن ان يترتب عن محاولة دراسة استراتيجيات الخطابات لا انطلاقا من الوعي الصامت الابكم الذي يفصح عن نفسه من خلاله، بل انطلاقا من مجموعة مبهمة من القواعد المجهولة الهوية.

السلطة كأيديولوجيا

يعد عمل فوكو حول السلطة بحق اكبر ممارسه نقديه من خلال منهج الاوركيولوجيا والجينيولوجيا في الفلسفة المعاصرة عملت على تعرية عمل الايدولوجيات السياسية والقمعية والمعرفية في اطار ممارسه القمع والمراقبة.

يقول فوكو في حواره مع فونتانا "لست ترى في أي جهة، من اليمين أم من اليسار، كان يمكن طرح مسألة السلطة، فمن اليمين لم تكن مطروحة إلا بقاموس الدستور والشرعية أي بقاموس قضائي، ومن اليسار كانت مطروحة بمعاني جهاز الدولة، أما الطريقة التي تمارس بها مادياً، وبالتفصيل بخصوصيتها، وتقنياتها، وتكتيكاتها، فلم يكن أحد يبحث عنها (العيادي، 1994، صفحة 50) .

ما يشير إليه فوكو هو محدودية التفكير في موضوع السلطة، وعدم الخروج من الأطر العامة التي أعتمدها المعنيون بموضوع السلطة، فهي نفسها منذ العصر اليوناني، هذه الأطر التي قوقعت السلطة وأردفتها بمفهوم الدولة والقانون، وهنا يحاول فوكو النزول إلى الواقع، إلى الممارسة، إلى الرابطة الحميمية بأشكال الوجود، إلى العلاقات بين الموجودات، في ظل ذلك لا تطرح مسألة السلطة من خلال القانون والدولة، أو الطبقة، ولا يتم أدراكها من خلال التعاقد والهيمنة، بل سنراها كشبكة معقدة تستمد قواها من توزيعاتها الدقيقة، ومن تفرعاتها، ومن غلغلتها داخل الجسد الاجتماعي، عندئذٍ ينظر إليها كممارسة.

إذاً السلطة هي مجموعة من علاقات القوة (بالتعبير النيتشوي) وهي ليست منفردة، فمن شأنها أن تدخل في علاقة مع سلطة أخرى، فهي أسم للتعبير عن وضع إستراتيجي متحرك، متنوع بصفة مستمرة، يتمثل في علاقات قوى محلية منفصلة وكثيفة (اباه، ص191.) فدخول السلطة في علاقات دائمة، من شأنه أن يعمل على تكوينها، وهذه الصفة أشار إليها فوكو من قبل في كتاب (المراقبة والمعاقبة)، حيث تحدث عن البحث الميكروفيزيائي للسلطة، أي عن لعبة الأجساد والمؤسسات والمواقع والتقنيات، عن أشكال الاستثمار والتغلغل في عمق النسيج الاجتماعي، الذي يمنع فهم السلطة كمجرد علاقة بين دولة مهيمنة ومواطنين خاضعين، أو التحدث عن طبقة مهيمنة تختزل السلطة لصالحها، وذلك لأن ذات الطبقة، لا يمكن لها الحصول على الهيمنة، إلا إذا كونت نفسها كطبقة، وهو ما يفترض آليات سلطوية تمارس على مجموع أفرادها (العيادي، 1994، صفحة 63) .

يصف فوكو السلطة بأنها ليست جهازاً أو طبقة، فيها يحاول طرف ما التحكم في فعل آخر، "أقصد بعلاقات السلطة، الوضعية التي يريد فيها طرف ما، محاولة التحكم في السلوك، أي سلوك طرف آخر، وهي علاقات يمكن العثور عليها في مستويات مختلفة وبأشكال متنوعة" (الشابي، 2016، صفحة 105) .

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

كما انه بيّن لنا عبر دراسته لثلاثة عصور متتالية، تجليات السلطة وعلاقتها بالخطاب سواء ما يتعلق بالممارسات الاجتماعية أو غير الاجتماعية وكيفية عملها، بيّن لنا كيف إن السلطة تمارس على الأجساد بل وتقوم باستثمار الجسد بمحاولة لخلق جسد طيع منتج للمجتمع، وذلك من خلال تطبيق طرق المعاقبة والمراقبة.

"مع إن فوكو تناول في دراسته أساليب الهيمنة التي تستخدمها السلطة كالأيدولوجيا والخداع والعنف المادي والمعنوي، الا انه كان مهتماً أكثر بتحليل بنية السلطة فما يهمه هو كيف تعمل السلطة؟ وهو بهذا شكل قطيعة ابستمولوجية مع النظريات السابقة، التي تحصر السلطة في الدولة أو أجهزة الدولة ومؤسساتها فلا ينبغي النظر الى السلطة على إنها محصورة في فرد أو جماعة وانما يجب التفكير فيها كإنتاج لاستراتيجيات الصراع بين مختلف القوى (عبدالعزيز، 2020، صفحة 22)، وبذلك لا تخرج السلطة من كونها مجموعة علاقات قوة، تدخل احداها في علاقة مع قوة آخرى مكونة ما يعرف بالمجتمع السلطوي الذي يقوم بإنتاج أفراد مقولبين حسب حاجات ومتطلبات المجتمع والسلطة.

اذاً وجد فوكو إن الأيدولوجيا تؤثر في عمل السلطة، فهي تجعل من السلطة غير قادرة على أن تنتج في نطاق المعرفة الا مفاعيل ايدولوجية، بمعنى إنها إما ان تكون عنيفة بعملها بشكل صامت او يكون عملها بشكل خطابي ثرثار وفي كلا الحالتين لا يتم ذلك الا عن طريق الأيدولوجيا، كما إن كل وجة من أوجه ممارسة السلطة يعد حيزاً للمعرفة وليس للأيدولوجيا، وفي المقابل فأن كل معرفة تتيح وتضمن ممارسة السلطة (فوكو، 2022، الصفحات 314-315) .

ومما تجدر الاشارة اليه ـ إن فوكو قد تحفظ على استعمال مصطلح الأيديولوجيا وذلك يرجع الى ثلاثة أسباب حسب اعتقاده:

السبب الأول: هو إن الأيديولوجيا شئنا ام أبينا هي دائماً في حالة تعارض ضمني مع شيْ هو بمثابة الحقيقة (تتعارض مع الحقيقة)

السبب الثاني: ان مصطلح الأيديولوجيا يحيل بالضرورة على ما يبدو الى شيء هو بمثابة الذات أي ان الذات هي من تنتج الأيدولوجيا.

السبب الثالث: إن الأيدولوجيا في موقع ثانوي بالنسبة الى شيْ يمثل البنية التحتية (ينظر: الشقيران، ، 2009. ص34) وفي ذلك يمكن القول إنها غير لازمة فلسفياً ولكن هل هذا يعني انها غير لازمة واقعياً وعملياً؟

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

الخاتمة:

يمكن أن نستنتج إن مسألة الأيدولوجيا تم النظر لها من قبل الفيلسوفين بمنظورين مختلفين - فالأول نظر اليها نظرة إيجابية فهي لديه ضرورية ولازمة لتطور المجتمع وتقدمه، كما انها مرتبطة بالطبقة التي تسود المجتمع، فهي تنشأ عضوياً منها مشدداً على رفض الأيديولوجيا التي تمارس من قبل مؤسسات وأجهزة فوقية، وهي بهذا المعنى شيء سلبي ومجرد زيف ووهم.

- والثاني نظر اليها نظرةً سلبية فهي تمثل وسيلة للتمويه والاخفاء والخرافات من خلال الممارسات الخطابية _وهذا ان دل على شيء فهو يدل على ان فوكو قد ساوى بين الأيديولوجيا والممارسات الخطابية في عملها _ نتيجة لابتعادها عن الواقع الحقيقي وقدرتها على تكوين نوع من الأدراك الزائف يمارس على الافراد ويتحكم في مجمل العلاقات الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

1. أنطونيو غرامشي. (1994). *دفاتر السجن (عادل غنيم، مترجم). دار المستقبل الغربي.*
2. أنطونيو غرامشي. (2017). *الأمير الحديث (زاهي شرفان وقيس الشامي، مترجمان). منشورات الجمل.*
3. بيوتي جان مارك (د.ت) *فكر غرامشي السياسي (جورج طرابيشي، مترجم) دار الطليعة للطباعة والنشر*
4. جاك تكسية. (1972). *غرامشي: دراسة ومختارات (ميخائيل إبراهيم، مترجم). منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي.*
5. جورج طرابيشي. (د.ت). *معجم الفلاسفة (ط. 3). دار الطليعة.*
6. حسين عبدالعزيز. (2020). *فوكو ومعنى السلطة والسياسة. مجلة العربي، (21).*
7. سهيل القش(1979) *في البدء كانت الممانعة: مقدمة في تاريخ الفكر السياسي العربي (ط. 1). مدارات للأبحاث والنشر؛ دار الحداثة*
8. عبد العزيز العيادي. (1994) *ميشيل فوكو: السلطة والمعرفة (ط. 1) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر*
9. غاري كورتينغ. (د.ت). *موسوعة ستانفورد للفلسفة (فريق الحكمة، مترجم). مجلة الحكمة.*
10. فريدريك غرو. (2008). *ميشيل فوكو (محمد وطفة، مترجم؛ ط. 1) المؤسسة الجامعية للنشر.*
11. فهد الشقيران. (2009). *ما بعد الحداثة: الأيديولوجيا لا تلزم فلسفيًا. إيلاف.*
12. مالك عبيد، وآخرون أبوشهيرة. (1993). *الأيديولوجيا والسياسة: دراسات في الأيديولوجيات السياسية المعاصرة (ط. 1). الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع.*
13. مطاع صفدي. (1990). *نقد العقل الغربي. مركز الإنماء القومي.*
14. ميشيل فوكو. (2006). *هم الحقيقة (مصطفى النمساوي، مترجم؛ ط. 1). منشورات الاختلاف.*
15. ميشيل فوكَو. (2022). *المجتمع العقابي: دروس أُلقيت في الكوليج دو فرانس (1972–1973) (نصير مروة، مترجم؛ ط. 1). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.*
16. نور الدين الشابي. (2016). *فوكو قارئًا نيتشه (ط. 1). منشورات ضفاف.*
17. ولد السيد أباه. (2004). *الحقيقة والتاريخ لدى ميشيل فوكو (ط. 2). الدار العربية للعلوم.*

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, Vol. 50, No. 116, PP.1-10
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
2026 ،مجلد 50،العدد 116، ص1-10
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

18. يان ريمان. (2022). *نظريات الأيديولوجيا: قوى الاغتراب والإخضاع (أشرف منصور، مترجم؛ ط. 1). المركز القومي للترجمة.*

References

Gramsci, Antonio. (1994). *Prison Notebooks* (Adel Ghoneim, Trans.). Dar al-Mustaqbal al-Gharbi.

Gramsci, Antonio (2017) *The Modern Prince* (Zahi Sharfan & Qais al-Shami, Trans.). Manshurat al-Jamal

Biyouti, Jean-Marc. (n.d.). *Gramsci's Political Thought* (George Tarabishi, Trans.). Dar al-Tali'a for Printing and Publishing.

Texier, Jacques. (1972). *Gramsci: A Study and Selected Writings* (Mikhail Ibrahim, Trans.). Publications of the Ministry of Culture and National Guidance.

Tarabishi, George. (n.d.). *Dictionary of Philosophers* (3rd ed.). Dar al-Tali'a.

Abdulaziz, Hussein. (2020). Foucault and the meaning of power and politics. *Al-Arabi Magazine*, (21)

Al-Qash, Suhail. (1979). *In the Beginning Was Resistance: An Introduction to the History of Arab Political Thought* (1st ed.). Madarat for Research and Publishing; Dar al-Hadatha.

Al-Ayyadi, Abdulaziz. (1994). *Michel Foucault: Power and Knowledge* (1st ed.). University Foundation for Studies and Publishing.

Courtenay, Gary. (n.d.). *The Stanford Encyclopedia of Philosophy* (Al-Hikma Team, Trans.). Al-Hikma Magazine.

Gros, Frédéric (2008) *Michel Foucault* (Mohammed Watfa, Trans 1st ed.) University Foundation for Publishing

Al-Shaqiran, Fahd. (2009). *Postmodernism: Ideology Is Not Philosophically Binding*. Elaph.

Malik Ubaid & Abu Shuhaira et al. (1993). *Ideology and Politics: Studies in Contemporary Political Ideologies* (1st ed.). Al-Dar al-Jamahiriyya for Publishing and Distribution.

ISSN:0258-1086

Safadi, Mutaa. (1990). ***Critique of Western Reason*****. National Development Center.**

Foucault, Michel. (2006). ***Himself as Truth*** **(Mustafa al-Namsawi, Trans.; 1st ed.). Manshurat al-Ikhtilaf**

Foucault, Michel. (2022). ***The Punitive Society: Lectures at the Collège de France, 1972–1973*** **(Nasir Marwa, Trans.; 1st ed.). Arab Center for Research and Policy Studies.**

Al-Shabi, Nour al-Din. (2016). ***Foucault Reading Nietzsche*** **(1st ed.). Manshurat Difaf.**

Ould Sidi Abah]. (2004). ***Truth and History in Michel Foucault*** **(2nd ed.). Arab House of Sciences.**

Riemann, Jan. (2022). ***Theories of Ideology: Forces of Alienation and Subjugation*** **(Ashraf Mansour, Trans.; 1st ed.). National Center for Translation.**